باب قول الله تعالى:
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

باب قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾:

من هنا يبدأ قسم جديد من أقسام كتاب التوحيد، ألا وهو القسم المتعلق بأعمال القلوب التي لها تعلق بالتوحيد، حيث أن الشيخ رحمه الله عز وجل قسّم كتاب التوحيد إلى كليات، وإن لم يصرح بها إلا أن المتأمل في الكتاب يجد هذا الترتيب البديع، ثم قسم كل كلي إلى ابواب، وبدأ الشيخ قسم مايتعلق بأعمال القلوب المتعلقة بالتوحيد **بالمحبة**، لان المحبة منها ماهو أصل في التوحيد، ومنها ماهو من آثار وثمار التوحيد، ومنها ما يضاد التوحيد، فالمحبة لب العبادة وحقيقة العبادة وهي شرط في العبادة، فلا تكون عبادة الله عبادة إلا إذا كانت عن محبة، ومن حق ربنا علينا أن نحبه الحب المطلق فوق كل حب ،وأن يكون حبنا لله أصل كل حب، فما تفرع عن حبنا لربنا تقربنا به إليه سبحانه وتعالى، وما ضاد حبنا لربنا تبرأنا منه ورددناه، والمحبة تنقسم من حيث حقيقتها الى خمسة أقسام:

القسم الأول: محبة طبعية مركوزة في طبع الإنسان كمحبة الانسان للأكل و الشرب ،وملذات الدنيا المباحة ،ومحبة الأنسان لمصالحه فهذا أمر طَبَعي مركوز في نفس الإنسان ويتفاوت فيه الناس، فمثلا نبينا ﷺ – كان يحب الحلوى و يحب الماء ويحب الشراب البارد وكان يحب الدباء وكان يحب الطيب وكان يحب النساء؛ فهذه المحبة الطبعية في الاصل لا يتعلق بها مدح أو ذم لأنها من طبع الأنسان إلافي حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون الدافع لهذه المحبة حب رسول الله ﷺ فكون الإنسان يحب الطيب لأن النبي ﷺ يحبه ؛من طبيعته أنه يحب الطيب لكن لما علم أن النبي ﷺ كان يحب الطيب أصبح يحبه أكثر لحب رسول الله ﷺ له. كان يحب الدباء من طبعه لكن لما علم أن النبي ﷺ يحب الدباء اصبح يحبه أكثر ، هنا يثاب على هذه المحبة ويمدح بهذه المحبة.

الحالة الثانية : أن يجعل حبه لهذه الأشياء الحب الطبعي سببا لزيادة حبه لله وتقربه لله سبحانه وتعالى فيحبها لأنها تعينه على طاعة الله ، يحب النوم كما يحب كل إنسان النوم، ولكن هذا الفاضل يحب النوم

لأنه يتقوى به على طاعة الله فيزيد على الحب الطبعي حبه هذه الامور لأنها تزيده قربا الى الله وتعينه على التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: محبة رحمة و اشفاق واحترام :محبة الرحمة والاشفاق يا اخوة مثل محبة الأم لولدها ، محبة الأم لولدها محبة رحمة واشفاق، ومحبة الاحترام مثل محبة الولد لأبيه ؛ ومثل محبة التلميذ لشيخه ، هذه محبة دافعها الاحترام وبعض أهل العلم يقول الإجلال، والمقصود بالاجلال هنا الإحترام وهذه المحبة يتعلق بها المدح شرعا من جهة ما يتعلق بها من رحمة و إحترام ، فالرحمة يمدح بها الإنسان و الإحترام لذي الإحترام يمدح بها الإنسان لان هذا من إجلال الله سبحانه وتعالى.

القسم الثالث: محبة إلف و أنس: فالإنسان يحب من يخالطه في العادة . كمحبة المسافر يحب لرفقائه في السفر، ومحبة الجليس لجلسائه ، فهذه محبة إلف وأنس، وهذه محبة مكتسبة جائزة ، إلا إذا وجد في الشرع ما يدفعها كابتداع وإظهار للفسق فإنه إذ ذاك تندفع هذه المحبة ولاسيما في الظاهر.

القسم الرابع:محبة الله و محبة في الله وهذه عبادة واجبة على المكلف في الجملة ورأسها وأعلاها حب رسول الله ﷺ ثم حب الأنبياء ثم حب الصالحين ورأسهم صحابة رسول الله ﷺ.

القسم الخامس: محبة ذل وخضوع وكمال طاعة وتعظيم : وهذه محبة عبودية ، ويجب ان تكون لله عز وجل ولا يجوز ان تصرف لأحد من المخلوقين قليلها و كثيرها، صرفه لغير الله **شرك أكبر**، هذه محبة لا تكون إلا لله عز وجل ،فصرفها لغير الله محبة مع الله وهو صنيع المشركين الاولين والناس المشركون في باب محبة العبادة على دركات، بعضها أظلم من بعض:

– فمنهم من يحب الله عز وجل ولكنه يحب الانداد كحبه لله، فيسوي بين الله وبين مخلوقاته في المحبة،سواءا سوّى بين الله عز وجل والاصنام في المحبة أو سوّى بين الله عز وجل ومن يسميهم بالاولياء والصالحين في المحبة، وهذا هو صنيع المشركين الاولين.

– ومنهم من يحب الله لكنه يحب الانداد أكثر من حبه لله سبحانه وتعالى، فتجد تعظيمه لهم في قلبه أعظم من تعظيمه لله، وحرصه على حقهم بزعمه أعظم من حرصه على حق الله سبحانه وتعالى، تجده يقضي الليل والنهار يدافع عن حقوقهم المزعومة ،ويذم ويعادي من يدعوا الى حق الله ويدعوا الى توحيد الله، عدوه الذي يقول مِضّوا حق الله لله، ولا يصرف شيء من حق الله لغير الله فهذا في حقيقة الأمر يحب هؤلاء الانداد الذين جعلهم نظراء لله أعظم من حبه لله عز وجل، وهؤلاء أسوء من الأولين.

– ومنهم من يحب الأنداد ولا يحب الله أصلا، وهذا والعياذ بالله شر من وطئ الارض، من يحب الأنداد ولا يحب الله عز وجل فيصرف للأنداد حقهم بزعمه، وهو شرك ولا يصرف لله عز وجل حقه من التوحيد ولا يحب الله مطلقا.

ونستطيع أيضا أيها الإخوة أن نقسم المحبة من جهة أخرى، نحن قلنا هذا التقسيم للمحبة من جهة حقيقتها، ونستطيع أن نقسم المحبة من جهة حكمها إلى أربعة اقسام:

القسم الاول: – **محبة فرض** واجب هذه المحبة فرض واجب على المكلف كمحبة الله، وهذا فرض مطلق، ومحبة رسول الله ﷺ، وهذا متفرع عن حب الله ومحبة الصالحين، فهذه محبة هي فرض واجب على الانسان.

القسم الثاني:– **محبة طبعية** من طبع الأنسان أو محبة مباحة وهي المحبة الطَبَعية التي في طبع الأنسان بشرط أن لا تكون محبةً لما حرم الله، فلا يأتي إنسان ويقول أنا بطبعي احب الخمر نقول لا ما يجوز، أو يقول أنا احب النساء الاجنبيات عني نقول هذا مرض وليس طبعا، مايجوز، وبشرط ايضا ان لا تساوي محبة الله أو تقدم على محبة الله سبحانه وتعالى.

القسم الثالث:– **محبة محرمة** كالمحبة مع الله، وتقديم محبة أحد من البشر على محبة رسول الله ﷺ، وكمحبة ماحرم الله وكالمحبة التي حرمها الله كمحبة الكفار غير الطبعية.

القسم الرابع:– **محبة مستحبة** فضيلة، يستحب للمسلم أن يوقعها، وهي محبة مايحبه رسول الله ﷺ من غير الواجبات، فهذه محبة طبعية، وكذا محبة الامور الطبعية لكونها تعين على طاعة الله فهذه محبة طبعية وهي محبة مستحبة، فهذا تقسيم المحبة من جهة حكمها.

وإذا عرفت تقسيم المحبة، عرفت لِمَ ذكر الشيخ المحبة في كتاب التوحيد، لان محبة التعظيم والذل والخضوع وكمال الطاعة عبادة، ففعلها توحيد وصرفها لغير الله شرك، ولان المحبة لله من آثار التوحيد ومن ثمار التوحيد؛ فناسب ان يذكر هذا الباب في كتاب التوحيد.

ثم إن الشيخ رحمه الله بوب الباب بهذه الآية العظيمة، لينبه من ينتسبون إلى الاسلام إلى خطورة مايفعله بعضهم في باب المحبة لمن يسمونهم بالأولياء الصالحين، فإن بعض من ينتسبون إلى الاسلام يغلون في محبة الاولياء الصالحين حتى يقع أحدهم في صنيع المشركين، بل أشد؛ لذا ذكر الشيخ هذه الآية بيانا وتحذيرا لأن ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآية ذم المشركين بماذا !؟ بكونهم يتخدون من دون الله أندادا، لا يزعمون أنهم يخلقون، ولا يزعمون أنهم يرزقون، وإنما يشركونهم مع الله في محبة التعظيم، فيحبون اندادهم كحب الله، فكيف بمن يزعم ممن ينتسبون إلى الاسلام أن الاولياء يخلقون، وان الولي قادر على خلق الولد في بطن أمه،

وأنهم يرزقون وأنهم يدبرون الكون، ويتصرفون فيه ويحبهم كحب الله ،بل حبه لهم وخوفه منهم ورجاؤه لهم، أشد من حبه لله ومن خوفه من الله ومن رجائه لما عند الله؛ إذا أعياه أمر فزع قلبه إلى أولئك الأولياء يدعوهم ويتقرب إليهم، ولا يرد على قلبه ربه سبحانه وتعالى؛ لا شك أن هؤلاء أسوأ حالا من أولئك المشركين الأولين عياذا بالله من الخذلان، والله عز وجل قال ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ ومعناه أن المشركين يساوون غير الله بالله، في محبة التعظيم فهم يسوّون الله خالقهم والمنعم عليهم وعلى الناس أجمعين بمخلوقاته الضعفاء، المحتاجين إلى الله عز وجل في المحبة وهذا هو الضلال المبين أي الضلال البين، فإن هذا الضلال يدركه العاقل بعقله قبل أن يعرف ذلك بآيات الله وبأحاديث رسول الله ﷺ فهو الضلال المبين والظلم العظيم، كما قال الله عز وجل عن أهل النار ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾كانوا يسوون الله سبحانه بمخلوقاته، أو يسوون المخلوقات بالله في المحبة، فكبكبوا في جهنم أجمعين، وكانوا يتلاومون وتبين لهم حيث لا ينفعهم ذلك انهم كانوا في ضلال مبين إذ كانوا يسوون تلك المخلوقات بالله رب العالمين في المحبة.

وقيل أن المعنى أن المشركين يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله وهذا ضعيف، لأن الله عز وجل قال ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ فكيف يذكر الله في أول الآية التساوي ثم ينفيه في آخر الآية، فهذا المعنى ضعيف . وقول الله عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ معناه أن حب المؤمنين لله أشد من حب الكفار لله، لأن حب المؤمنين لله خالص، حب التعظيم والعبادة، لا يصرفونه لنبي ولا لولي ولا لشجر ولا لصنم وإنما هو لله فقط سبحانه وتعالى، أما حب المشركين لله فهو حب شرك إذ يسوّون المخلوق بالخالق في هذه المحبة. وقيل إن المعنى: أن المؤمنين أشد حبا لله من حب المشركين لأندادهم، وبهذا تعلم مناسبة التبويب بهذه الآية الشريفة.

وقوله ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية.

أورد الشيخ في هذا الباب قول ربنا سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

حيث أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يتوعد المؤثرين هذه الثمانية التي تتعلق بها القلوب عادة، وهي الآباء ،والأبناء، والاخوان، والازواج، والعشيرة، والاموال المكتسبة، والتجارة التي يخاف عليها الانسان ان تضيع، والمساكن الطيبة التي يحبها الانسان؛ أمر الله نبينا ﷺ ان يتوعد من آثر هذه المذكورات بهذا

الوعيد العظيم، وهو أن ينتظر عقاب الله، فهو يعلم وعيد الله وينتظر عقاب الله، وهذا أشد لألمه وأعظم لعقابه، أنه يعلم أنه سينزل به عقاب ولا يدري متى ينزل، فهو في خوف دائم، وفي قلق دائم، وهذا من اشد أنواع العذاب؛ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وفي هذه الآية ياإخوة دليل على أن محبة هذه الامور الثمانية مباحة جائزة، إذا لم تتعارض مع حب الله، لأن الله لم يذم حبها مطلقا، وإنما ذم تقديمها على حب الله وعلى حب رسول الله ﷺ، فإذا كان الانسان يحب أباه هذا ليس مذموما بل مطلوب، إذا كان يحب ولده فهذا ليس مذموما بل مطلوب، إذا كان يحب زوجته فهذا ليس مذموما بل مطلوب، إذا كان يحب ماله فهذا ليس مذموما بل مطلوب، وهكذا...؛ ولكن المذموم الممنوع أن يتقدم حبها على حب الله وعلى حب رسول الله ﷺ.

والحب لهذه الثمانية إن كان من باب محبة الذل والتعبد والتعظيم فإنه **شرك أكبر**، وإن لم يكن من هذه المحبة فهو **كبيرة من كبائر الذنوب**، وقد يكون **شركا أصغر**.

فهذا ما يتعلق بهذه الآية؛ وألْحظوا ترتيب الشيخ حيث بدأ بالآية التي بوب لها وهذه في محبة الشرك المحبة التي يقع فيها التوحيد الخالص أو الشرك الاكبر، وهي محبة التعظيم والتعبد؛ ثم ذكر الآية الثانية وفيها تقديم محبة المحبوبين على محبة الله وعلى محبة رسول الله ﷺ، وهذه المحبة قد تكون شركا اكبر، وقد تكون كبيرة من كبائر الذنوب، بحسب نوعها. ثم ذكر الشيخ رحمه الله عز وجل الاحاديث المتعلقة بالمحبة.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين».أخرجاه.

نعم ،بالنسبة إلى الآيات ذكر الاخوة أن شرحناها في المجلس السابق و أنا سبحان الله لا أتذكر أني شرحتها،لكن لعل في إعادتها مزيد فائدة،فإن كنا شرحناها سابقا،فهذا من باب التأكيد و لعلي ذكرت مزيد فوائد و إن كنا لم نشرحها،فلا يكون شرحها قد فاتنا،و لعل هذا مما حدث به الشيخ،فنسي،فأصبح الطالب يحدث شيخه عنه،و أنا حتى هذه اللحظة لا أتذكر أني شرحتها.

أورد الشيخ رحمه الله عز و جل هذا الحديث: ليتكلم عن محبة رسول الله ﷺ.

و هذا الحديث رواه: الشيخان: البخاري و مسلم.

فعن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال:(**لا يؤمن أحدكم**): و دائما إذا نفي الإيمان في النصوص:فإما أن يكون النفي متسلطا على الحقيقة، وإما أن يكون متسلطا على الكمال،و هذا بحسب الأدلة،(**لا يؤمن أحدكم**):

قد يكون معناه : لا يقع الإيمان في قلبه أصلا ، و قد يكون معناه: لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل.

و هذا النفي هنا للأمرين باختلاف الحال:

فإن كان العبد: لا يحب رسول الله ﷺ أصلا و لا يجد لرسول ﷺ حبا في قلبه،فهذا ليس مؤمنا أصلا ينتفي عنه الإيمان بالكلية .

و إن كان العبد : يحب رسول الله ﷺ غير أنه يحب نفسه أكثر من حبه لرسول الله ﷺ ،فهذا إيمانه ناقص نقصا شديدا و إن كان أصل الإيمان حاصلا عنده.

(**لا يؤمن أحدكم**): و هذا يشمل الذكر و الأنثى،(**حتى أكون أحب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين**): و يشمل هذا نفس الإنسان كما قال عمر للنبي ﷺ :(و الله أنت يا رسول الله ،لأنت أحب إلي من كل أحد إلا من نفسي،فقال النبي ﷺ :(لا يا عمر،حتى أكون أحب إليك من نفسك) ، يعني لا يكمل إيمانك:حتى أكون أحب إليك من نفسك،قال:(فوالله يا رسول الله لأنت الآن أحب إلي من نفسي)،و في هذا يا إخوة دليل على أن المحبة تتغير،فقد يتغير الأمر من حب إلى بغض و قد يتغير الأمر إلى محبة أكمل، فعمر رضي الله فور أن علم،أن كمال الإيمان يستلزم كمال

حب رسول الله ﷺ حتى يكون حبه فوق كل حب بشري،حتى فوق حب نفس الإنسان، أحب النبي ﷺ أكثر من حبه لنفسه، و هذا دليل على: عظم إيمان عمر رضي الله عنه و كذا المؤمن إذا سمع هذا،فإن قلبه ينقاد إلى أن يكون حب رسول الله ﷺ فيه أعظم من حبه لنفسه،فهذه **محبة واجبة** و هي محبة لله متفرعة و نابعة من حب الله فرسول الله ﷺ نحبه لأنه رسول الله ﷺ و لأن الله رحمنا به و لأنه جاهد في تبليغ الدين إلينا حق الجهاد و أدى الأمانة،فنحبه ﷺ فوق حبنا لكل بشر.

و دليل هذه المحبة: حسن الإتباع و تقديم محبوب رسول الله ﷺ على محبوب كل محبوب،فعلامة هذه المحبة: أن تحسن اتباعك لرسول الله ﷺ،و أن لا تعبد الله إلا بما شرع و بين ﷺ،: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ،و حب رسول الله ﷺ من حب الله،متفرع عن حب الله.

فعلامة حب رسول الله ﷺ أن تحسن اتباعه و لا يعني هذا أنَّ من لم يتبع النبي ﷺ في بعض العبادات لا يكون محبا لرسول الله ﷺ و إنما يكون حبه ناقصا لرسول الله ﷺ.

يعني يا إخوة :الذي لا يتبع رسول الله ﷺ في شيء فهذا لا يحب رسول الله ﷺ أصلا،الذي يأتينا و يقول أنا أحب الله و أحب رسول الله،لكن ما أصلي و لا أصوم و لا أحج و لا أتصدق،نقول كذاب، والله كذاب،لو قال:أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله،و قال:أنا أحب الله،و قال:أنا أحب رسول الله ﷺ،لكنه لا يصلي،لا يصوم،لا يعمل شيئا لله مع علمه و قدرته،فهذا كاذب صاحب بهتان و ليس صاحب إيمان.

أما من كان يتبع رسول الله ﷺ،لكنه يخالف في بعض الأمور:

كمن يقيم المولد مثلا و لكنه يتبع رسول الله ﷺ في سائر الأعمال،فهذا لا نقول إنه لا يحب رسول الله ﷺ و لكن نقول إن حبه للرسول ﷺ ناقص و بدعته هذه تبعده عن رسول الله ﷺ ، و لا يحبها الله، و لا يقبلها الله، و قد تزيد على قلب العبد حتى ترين على قلبه و العياذ بالله،فيصبح كالكوز مجخيا لا يقبل معروفا و لا ينكر منكرا و لا باطلا. فهذه محبة رسول الله ﷺ.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاث من كن فيه، وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقده الله منه كما يكره أن يقذف النار»

(**ولهما**): أي للشيخين البخاري ومسلم-رحمهما الله-(عز وجل)

(عنه): أي عن أنس-رضي الله عنه-

قال:- قال: رسول الله ﷺ «ثلاث» أي ثلاث خصال، وعد هذه الثلاث ليس حصرا لأسباب وجود اللذة، لذة الإيمان وإنما بيان لكمال هذه الخصال في هذا الباب، فكل ما شرعه الله إن أداه العبد مخلصا لله متبعا لرسول الله-ﷺ- زاد في إيمان العبد، ووجد العبد لذته في قلبه؛ لكن هذه الثلاث فيها كمال الموعود في هذا الحديث على لسان رسول الله-ﷺ-

«ثلاث من كن فيه»: أي من وجدن فيه، وجد حلاوة الإيمان.

فللإيمان حلاوة وهي لذة يجدها العبد في قلبه، وسعادة يجدها العبد في قلبه، فيعيش بين الناس في الأرض كأنه في جنة، بل يعيش بين الهموم كأنه في جنة، تحيطه الكروب وتحيطه الهموم وهو في غاية اطمئنان القلب، وفي غاية سعادة القلب في قلبه لذة لا يوحشه في طريقه قلة السائرين ولا قلة المناصرين، ولا قلة